

علاقة مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية بالاختيارات المدرسية و المهنية

Les sentiments d'efficacité personnelle (SEP) scolaires et professionnels

فيصل فراجي
محاضر جامعة وهران

الملخص

تشير الكثير من الدراسات إلى دور مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية في الاختيارات المدرسية والمهنية، حيث بينت أن مشاعر الفعالية الشخصية المدرسية والمهنية تلعب دور وسيط أساسي في الاختيار المهني، وانطلاقاً من ذلك يتردد الطلبة في متابعة مسار دراسي محدد ليس لعدم امتلاكهم المهارات الموضوعية وإنما خوفاً من الفشل لضعف شعورهم بالفعالية الشخصية اتجاه تخصصات أو ميادين معينة.

إن من بين العوامل المساعدة على التوفيق في الاختيار المناسب، ضرورة التكيف والتحفيز وإظهار الكفاءات اللازمة ومدى الالتزام بالتكوين الذي يختلف من فرد إلى آخر حسب درجة التحفيز لمتابعة الدراسة. كما ارتبط هذا المفهوم بالتعلم سواء تعلق الأمر بالإناث أو الذكور.

الكلمات الأساسية: الشعور بالفعالية الشخصية - الاختيارات المدرسية و المهنية - الجنس.

Résumé

De nombreuses études ont montré le rôle des sentiments d'efficacité personnelle (SEP) dans les choix scolaires et professionnels, ces croyances d'efficacité personnelle formées à partir de ces expériences qui façonnent les performances scolaires et les choix professionnels.

Le (SEP) désignait les croyances relatives à sa propre capacité à réaliser les comportements requis pour produire un résultat (Bandura, 1977). Par la suite, cette définition s'est élargie aux croyances des personnes relatives à leurs capacités à exercer un contrôle sur les événements qui affectent leur vie et aux croyances quant à leurs capacités à mobiliser la motivation, les ressources cognitives, et les suites d'actions nécessaires pour exercer un contrôle sur les exigences de la tâche. De plus, ces recherches montrent des comparaisons de SEP selon le sexe

Mots clés : SEP (Sentiment d'efficacité personnelle) - Les choix scolaires et professionnels - Genre.

مقدمة

يندرج مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية ضمن النظرية الاجتماعية المعرفية (بوندورا 2003 Bandura). تختلف هذه النظرية عن المدرسة السلوكية التي تشير إلى تأثير المحيط على سلوك الفرد، بينما تبحث النظرية الاجتماعية المعرفية في التفاعلات بين الأحداث الداخلية، وبين المحيط والسلوك، وتدافع عن فكرة أن الفرد ومحيطه عبارة عن عناصر ذات تأثير متبادل.

من بين أهم خصوصيات النظرية الاجتماعية المعرفية هو الاهتمام بالأحداث الداخلية مثل التوقعات والشعور بالفعالية الشخصية. يمثل هذا المفهوم إحدى أهم ركائز هذه النظرية التي اتضح مفهومه أكثر بتطور النظرية الاجتماعية المعرفية، كان يهدف هذا المفهوم في الأصل إلى تحديد التوقعات المتعلقة بالقدرة على تحقيق السلوكيات المطلوبة للوصول إلى نتيجة معينة (بوندورا 1977 Bandura). بعد ذلك اتسع هذا المفهوم إلى مدى إيمان الفرد بقدراته من أجل التحكم في الأحداث التي تؤثر على مجالات حياته، وفي مدى إيمانه أيضاً في تعبئة المصادر المعرفية والحوافز والنتائج المترتبة على ذلك لغرض التحكم في متطلبات الوضعية. ومن هذا المنطلق يتم تعريف وقياس مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية على أساس مجموعة من المعارف المحددة التي تتعلق بسلوكات محددة ضمن وضعيات أو مجالات محددة.

و يعمل هذا المفهوم على التنظيم الذاتي للسلوك من خلال أربعة أساليب:

1 - التأثير على الأهداف التي يسطرها الأفراد، حيث أن الذين لديهم درجات مرتفعة من الشعور بالفعالية الشخصية، يسطرون أهدافاً أكثر صعوبة، عكس الذين لديهم درجات منخفضة.

2 - التأثير على الاختيارات المختلفة، والعمل على مواجهة الضغوط والصعوبات.

3 - التأثير على الكفاءة والفعالية لحل المشاكل واتخاذ القرارات، حيث نجد أنه أمام الوضعيات التي تستدعي اتخاذ قرارات حاسمة، يلجأ الأفراد الذين يثقون في قدراتهم إلى حل مشاكلهم باستثمار مصادره الداخلية بأكثر فعالية.

4 - التأثير على التنظيم الذاتي من خلال توجيه الوضعيات والنشاطات، فعادة ما يختار الفرد وضعيات معينة ينتظر أن ينجح ويحقق نتائج جيدة و يبتعد عن الوضعيات التي يخاف أن يفشل فيها. إن الشخص الذي ينتظر أن ينجح في وضعية معينة يلجأ إلى مضاعفة كفاءته وشعوره بالفعالية الشخصية، في حين أن الفرد الذي يبتعد عن الوضعيات التي ينتظر أن يفشل فيها يجد نفسه محروماً من التجارب التي تساعد على مقاومة ضعف شعوره بالفعالية الشخصية.

الإشكالية

تعتبر أي وضعية جديدة أو اتخاذ موقف معين الخطوة الأولى التي تساعد الفرد على توضيح أهدافه، وقدراته و رغباته. ويمر المشوار الدراسي للفرد بمراحل مهمة و فاصلة في حياته وتمثل في نتائج الامتحانات و نتائج التوجيه المدرسي و المهني.

ولا شك أنّ كثيرا من الاختيارات والاهتمامات المهنية تصطدم بواقع نتائج الامتحانات و نتائج التوجيه المدرسي و المهني، و بالتالي نجد أنّ عملية التوجيه تتواجد في كل مراحل التعليم وصولا إلى التعليم العالي.

و يمكن لهذا المسار الدراسي أن يتوقف مثلا عند الإخفاق في نيل شهادة التعليم المتوسط أو شهادة البكالوريا، ليقف الطالب أمام وضعية جديدة، يعيد فيها حساباته، و قد يتنازل عن اهتماماته و رغباته الأولية، و البحث عن إستراتيجية جديدة لمواجهة هذا الإخفاق. من هذا المنطلق نجد أن هناك أساليب خاصة بالتوجيه المهني تساعد الفرد على اختيار نشاط مهني جديد من خلال تحديد مشروع دراسي جديد يتمثل في مشروع التكوين في مراكز التكوين المهني.

إلا أنّ هذا الاختيار الجديد يركز على مدى القبول و الاهتمام و الشعور بالثقة في القدرات و الكفاءات الخاصة بالطالب، و بالخصوص الشعور بمدى فعاليته الشخصية اتجاه هذه الوضعية الجديدة.

و من هنا نجد أنّ مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية يتدخل في الحفاظ و تطوير أو تغيير و توجيه النشاط الجديد. و على ضوء ذلك يمكن التساؤل عن العلاقة بين مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية و الاختيارات المدرسية و المهنية لدى طلبة التكوين المهني، إضافة الى دراسة طبيعة الفروق في الشعور بالفعالية الشخصية باختلاف جنس طلبة التكوين المهني.

1 - الاختيارات المدرسية و المهنية:

أشار («هوتو» 1982 «Huteau») إلى موضوع الاهتمامات المهنية من خلال المقارنة بين تصور الذات و التصور الخاص بالمهن، فتأخذ العناصر المكونة لتكوين اتجاهات الأفراد المستقبلية طابعا تصوريا، حيث تعتبر الطريقة التي تتمثل من خلالها المهن لدى الفرد أهم من الدور الذي تلعبه هذه المهن، بمعنى أن تصور الذات الشخصي يلعب دورا أساسيا في تصور المهن.

و من منظور علم النفس المشروع Psychologie du Projet، تعتبر مساعدة التلميذ على تحديد بعض المعالم و الاتجاهات الخاصة بمستقبله عاملا مهما لكي تتضح صورة الذات لديه، و تتكون صورة موضوعية حول المهن، إضافة إلى دراسة كل العناصر الخاصة بتفضيله و اختياره لمهن معينة قبل اتخاذ القرار الأخير.

و ذهبت دراسات كثيرة إلى توضيح علاقة التجارب و الخبرات السابقة بالتمثلات المهنية و صورة الذات، و بينت أن إدراك المهن مرتبط بالقيم الثقافية و الاجتماعية.

في دراسة ل (ج. ثيشارد 1995 J. Guichard) أجريت على 573 مراهقا يدرسون في ست شعب مختلفة (آداب، علوم، إلكترونيك، سكرتارية طبي—اجتماعي، اتصال، ميكانيك)، طلب منهم الإجابة على استمارة تضم مجموعة من الفقرات تتعلق بعباداتهم الثقافية

المتمثلة في مشاهدة الحصص التلفزيونية، الموسيقى التي يستمعون إليها، الكتب التي يقرؤونها، الهوايات التي يمارسونها والرياضات الممارسة وقضاء العطل، و طلب منهم بعد ذلك تقييم ثماني مهن بإعطاء درجات تتراوح ما بين 1 و 7 تشمل 12 صفة كالآجر، المكانة الاجتماعية...

بينت النتائج تشابه الأنماط والعادات الثقافية لدى التلاميذ الذين يدرسون في نفس الشعب التكوينية، حيث نجد أن « الطلبة الذين يدرسون في تخصصات تكوينية (مكانيك، سكوترية...) يتميزون باتجاهات ثقافية عامة محدودة، بينما نجد أن هذه الاتجاهات تأخذ طابعا متعددا بطريقة اختيارية وانتقائية عند الشعب العلمية والأدبية. » (ج. ثيشار J. Guichard, 1995, ص 22).

وبالتالي نجد أن النظام التربوي يساهم بطريقة ما في جمع الطلبة الذين يتقاسمون تخصصات موحدة ضمن ممارسات ثقافية. من هذا المنظور « يمكن تفسير تفضيل الطلبة العلميين لمهن على الأخرى، في حين يفضل طلبة الشعب التكوينية مهناً تتوافق مع مستواهم الثقافي والاجتماعي، وتكون تلك المهن مدركة ومنظمة في الذاكرة بطريقة معينة. » (بورديو Bourdieu, 1979, ص 28).

ومن ناحية أخرى، نجد أن الطلبة الذين يتوقعون الفشل، تتعقد أمورهم أكثر من خلال استسلامهم للأمر الواقع وفقدان التحفيز، فنجد أن طلبة هذا الأسلوب يطرحون استفسارات كثيرة، لا يعرفون ما ينتظرهم، وليست لديهم أدنى فكرة حول مستقبل التخصص الذين باسروا تكوينهم فيه بعد فشلهم في نيل البكالوريا، « أرى المستقبل غامضا، ويمكن أن أغير التخصص أو أبحث عن شيء آخر. » (طالبة، مساعد محاسب). ويظهر بأن توجههم نحو التكوين المهني كان حتميا بعد تلاشي كل الفرص، ويرجع هذا الاتجاه السلبي أيضا إلى غياب الحافز للدراسة وعدم وضوح التمثلات الخاصة بالتخصصات المهنية، وبالخصوص ضعف شعورهم بالفعالية الشخصية. و يتماشى هذا التحليل مع ما أشار إليه («ميشال هوتو» M. Huteau 1982) في مجلة خاصة بالتوجيه المدرسي والمهني على أنه بمجرد التطرق إلى المشاكل الخاصة بالتوجيه المدرسي والمهني من الناحية النفسية، فلا يمكن حينئذ اعتبار الاتجاهات والاهتمامات الخاصة بالتخصصات التكوينية وبالهن على أنها نتيجة لنشاط معرفي مستمر للطفل والمراهق ثم البالغ، ويضيف أن هذا النشاط المعرفي هو نتاج مقارنة بين تصور الذات والتمثيلات الخاصة بعالم المهن.

2 - مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية (Sentiment de l'Efficacité Personnelle SEP)

بينت الكثير من الدراسات هذه العلاقة، واعتبرت أن مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية يلعب دورا أساسيا في الاختيار المهني لدى الأفراد، لهذا السبب نجد أن « ابتعاد الأفراد عن بعض التخصصات الدراسية أو النشاطات المهنية يرجع بالدرجة الأولى إلى اتسام شعورهم بالفعالية الشخصية بالضعف اتجاه تلك التخصصات أو النشاطات. » (فويو وآخرون F. Vouillot et Autre, 2004, ص 283).

وتطورت الأبحاث حول العلاقة بين الشعور بالفعالية الشخصية والاختيارات المدرسية والمهنية في التسعينات، و تخصصت في التوجيه المدرسي نحو دراسة الرياضيات وبعض الاختصاصات العلمية، حيث لخص (بوندورا 2003) العديد من أعماله في مجلته الخاصة أين أشار « أن الرياضات مادة تتطلب كفاءات ومهارات خاصة للوصول إلى مهن علمية وتقنية، وبمجرد الإحساس بعدم الفعالية اتجاه الرياضيات، سيشكل حاجزا أمام المهن التي تعتمد على المهارات الكمية.» (فويو وآخرون، 2004، ص 284). كما أن استيعاب هذه المادة والنجاح فيها يرتبط بتلك الفعالية الشخصية اتجاه المادة، وبالتالي تظهر معالم الأداء المدرسي والاختيار المهني.

وفي دراسة أخرى ل (بوندورا 2003) اهتمت بعلاقة الفعالية الشخصية بالتوجيه المهني للطلبة، و وضع الدور الذي تلعبه الفعالية الشخصية في الحياة المهنية، « فكلما ارتفعت هذه الفعالية التي تستجيب للمتطلبات التربوية والوظائف المهنية، كلما كان مجال المهن المراد اختيارها أوسع، وازدادت الاهتمامات بها.» (فويو وآخرون، 2004، ص 284).

وجاءت المقابلات التي ارتكزت على التأكد من إلمام الطالب بمعلومات وأفية حول التخصص الذي يرغب أن يدرس فيه، والإطلاع التام بمحتوى برنامج التكوين المهني المتعلق بالتخصص إضافة الى الدراية التامة بالكفاءات والقدرات التي ينبغي أن تتوفر في الطالب لمتابعة الدراسة في التخصص المهني، لتوضح طبيعة عمل مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية على تنظيم السلوك من خلال التأثير على الأهداف والتأثير على الاختيارات المدرسية والمهنية، و أيضا التأثير على الكفاءة والفعالية لحل المشاكل واتخاذ القرارات. فكلما كان الشعور بالفعالية الشخصية في مجال معين مرتفعا يساعد ذلك على بلوغ الأهداف والنجاح، وهذا يتفق تماما مع ما توصل إليه «روفولو وماركوس» (1992) «Ruvolo et Markus» على أن الأفراد الذين يفعلون مفاهيم إيجابية للذات من خلال تخيلهم لفرص النجاح في المستقبل يكون لديهم أداء جيد أثناء الدراسة عكس الأفراد الذين يفعلون مفاهيم سلبية للذات بتخيلهم الفشل في المستقبل.

وبالتالي يلعب مفهوم الشعور الإيجابي بالفعالية الشخصية دورا في التأثير على الاختيارات الموجهة نحو تحقيق أهداف معينة من خلال توظيف كل الجهود ومواجهة المشاكل والصعوبات، ويؤثر بصفة مميزة على الفعالية والأداء لحل المشاكل واتخاذ القرارات المناسبة، فالأفراد الذين يثقون في قدراتهم للتغلب على الصعوبات، يوظفون مصادريهم المعرفية بطريقة أكثر نجاعة مقارنة بالأفراد الذين لا يثقون في قدراتهم الشخصية، وبالتالي يظهر الأفراد فعالية أكثر أثناء مواجهة الصعوبات لاتخاذ قرارات معينة. وهذا ينطبق على فئة الطلبة الذين رسبوا في امتحان البكالوريا (عينة الدراسة) و الذين يحاولون البحث عن بديل دراسي آخر مثل الالتحاق بالتكوين المهني على سبيل المثال، وهذا يظهر في تعاليق بعض الطلبة الذين تم مقابلتهم، « أعتبر التكوين المهني فرصة ممتازة لا يجب تضييعها، خاصة وأن تخصص الالكتروتقني مطلوب جدا » (طالب، الكتروتقني)، وبالتالي يتوجه الفرد إلى اختيار وضعيات أو نشاطات، ينتظر من خلالها النجاح ويتفادى

كل ما يؤدي به إلى الفشل، و يبدو هذا الأسلوب الذي يتسم بالعقلانية كطريقة وقائية لتقبل التمثيلات المدرسية و المهنية الجديدة، في هذا الصدد تشير دراسة كل من «دمورا و لانغران» (1996) «Dumora et Lannegrand» اعتمدت على المقارنة بين التمثيلات الخاصة بطلبة التكوين المهني و طلبة الثانويات التقنية و الثانويات العامة إلى أن هذه التمثيلات تبقى متعلقة باحتمالات التوجيه الذي يعتمد على النتائج المدرسية.

3 - دور الجنس في الاختلافات في الفعالية الشخصية

تعتمد الكثير من التخصصات المهنية على المهارات التقنية و المواد الدراسية العلمية، و ترتبط الرغبة في التعلم على تطور مفهوم الشعور بالفعالية الشخصية. في فترة الستينات الى الثمانينات كانت تعتبر الاهتمامات المهنية غير التقليدية غير ملائمة بالنسبة للطلبات الاناث، الا أن (بوندورا Bandura) اقترح أن ملاحظة نماذج الأدوار ذات الصلة بالاختيارات الدراسية و المهنية تعزز نسبيا الشعور بالفعالية الشخصية اتجاه بعض المهن التي تبدو غير مألوفا خاصة عند الإناث. و هذا نجده ضمن العينة المدروسة التي اتجه أعضاؤها ذكورا و إناثا إلى الاقتناع بالتخصصات بعد انطلاق الدراسة من خلال تطور الشعور بالفعالية الشخصية الذي يرتبط بدرجة أكبر بعملية التعلم و ليس بمتغير الجنس نظرا لعدم وضوح الفرق بين الفعالية الشخصية لدى الجنسين سواء في التخصصات العلمية و التقنية أو التخصصات الأدبية. (بلانشارد و فرنيو Blanchard et Vrinand, 1994).

و بينت دراسة أخرى أن الاختلافات المتعلقة بالفعالية الشخصية و المرتبطة بمتغير الجنس تنجم أكثر من خلال العلاقة الموجودة بين الكفاءات و المهن التي تخص النمط الذكوري و بدرجة أقل من الفروق الموجودة بين كفاءة الجنسين. (بوندورا، 2004).

وجاءت دراسات أخرى لتفسر التباين الموجود في نظام التوجيه المدرسي للذكور و الإناث من خلال اقتراح مجموعة من الفرضيات تشير إلى دور التوجيه و علاقته بالأدوار الاجتماعية و المهنية الموجودة أو المفروضة في النظام الاقتصادي. (جونافياف لاتراي Geneviève Latreille, 1972). و تتوافق اهتمامات الأفراد مع ميول و مواقف مستقرة يكون نموها مرتبطا بصورة الذات، و موجهة نحو مجالات مختلفة من النشاطات و التجارب المعاشة في محيط اجتماعي و ثقافي معين، و تتأثر تلك الميول بضغط اجتماعية، تفسر من خلالها الأدوار الاجتماعية المخصصة للذكور و الإناث. (دوبون و آخرون Dupont et Autre, 1979).

يمكن أن نستخلص أن الاختيارات المدرسية و المهنية تتأثر بمفهوم الشعور بالفعالية الشخصية، و أيضا تداخل عوامل أخرى كالعوامل الاجتماعية و الاقتصادية التي تستند على مساهمة الأولياء في هذا الاختيار و دراسة تكاليف و فوائد التكوين، و يظهر هذين الرأيين متكاملين و غير متناقضين و يؤيدان إلى نفس الاستنتاجات، حتى لا تؤثر هوية نوع الجنس و تقييم مجال التكوين على اختيار المهن التي تصطبغ بالواقع الاجتماعي. و بالتالي أصبح من الضروري أن يتماشى تطور المفاهيم و الإجراءات التربوية تماما مع المفاهيم و الأدوار الاجتماعية للنساء و الرجال في مجتمعتنا.

المراجع

1. Bandura, A, Self-efficacy: Toward a unifying theory of behavioral change, Psychological review, 84, 1977, p 191 - 215.
2. Huteau, M, Les mécanismes psychologiques de l'évolution des attitudes et des préférences vis-à-vis des activités professionnelles, l'orientation scolaire et professionnelle, 2, 1982.
3. Guichard, J, Psychopédagogie du projet d'avenir et normativité, in les projets des jeunes, une question d'identité, ed. ADAPT, Paris, 1995.
4. Pierre Bourdieu, La distinction : critique sociale du jugement, éditions de Minuit, collection « le sens commun » Paris 1979.
5. Vouillot, F. Blanchard, S et autre, La division sexuée de l'orientation et du travail, Psychologie du travail et organisation, 10, www. elsevier. Com/locate / 2004.
6. Ruvolo, A. P et Markus, H. R, Possible selves and performance: the power of self - relevant imagery, social connection, 1992.
7. Dumora, B. Lannegrand, L, Les mécanismes implicites dans la décision d'orientation / B. Dumora ; L. Lannegrand / In Cahiers internationaux de psychologie sociale, Paris, 1996, vol. 30, n°2.
8. Latreille, G. (1972). Les disparités dans les chances d'accès à l'enseignement dans la France contemporaine. Orientations, 41, 55-76.
9. Dupont, J. B., Gendre, F., Berthoud, S., & Descombes, J. P. (1979). La psychologie des intérêts. Paris : PUF.